

الصراع الديني في الإمبراطورية الرومانية (اليهود والسلطة الرومانية من القرن 1 ق.م- 2م) The Religious Conflict in the Roman Empire (Jews and Roman Authority 1st c BCE to 2nd c CE)

د. شاوش حسام الدين^{1*}

¹ جامعة الجزائر 02 (الجزائر)، houssam.chaouch@univ-alger2.dz

ORCID iD¹: 0009-0002-7939-1923

تاريخ النشر: 2025/12/27	تاريخ القبول: 2025/12/03	تاريخ الاستلام: 2025/01/31
-------------------------	--------------------------	----------------------------

ملخص: عبر الصراع القائم بين الوثنية الرومانية واليهودية عن عمق الخلافات الدينية بين المنظومتين الدينيتين لكل طرف من جهة والطموحات السياسية لليهود التي واكبت صعود الإمبراطورية الرومانية من جهة أخرى، حيث أن السلوك الديني اليهودي يركز على محورية الإله يهواه واتباع الناموس التوراتي، بينما كانت المنظومة الدينية الرومانية قائمة على تعددية الآلهة وعبادة الإمبراطور، التي أصبحت في وقت لاحق التعبير الأساسي عن الولاء السياسي والديني للسلطة، في وقت برزت فيه الحاجة الملحة إلى خلق وحدة سياسية عن طريق الالتزام الديني تجمع كل أطراف الإمبراطورية وان أي مساس بذلك الالتزام الديني الروماني يعني بالضرورة شكلا من أشكال التمرد على السلطة الحاكمة، وهو ما أدى الى سلسلة من الانعكاسات زادت من حدة الصراع بين الطرفين.

كلمات مفتاحية: الصراع الديني، اليهودية، الوثنية، الإمبراطورية الرومانية، المسيحية، الرومان

Abstract: The conflict between Roman paganism and Judaism highlights the profound religious differences between the two systems, as well as the political aspirations of the Jews that coincided with the rise of the Roman Empire. On one hand, Jewish religious behavior was centered on the worship of Yahweh and adherence to biblical law, emphasizing a strict monotheistic framework. On the other hand, the Roman religious system was rooted in polytheism and the worship of the emperor, which later became a fundamental expression of political and religious loyalty to the state. During this period, there was an urgent need to create political unity across the empire through religious conformity, as any deviation from this religious commitment was seen as a form of rebellion against the ruling authority. This tension led to a series of repercussions, that further intensified the conflict between the two sides.

Keywords: Religious Conflict, Judaism, Paganism, Roman Empire, Christianity, Romans

1. مقدمة:

يُجسّد الصراع بين اليهودية والوثنية الرومانية أحد أبرز مظاهر الصدام الديني-السياسي في العالم القديم، حيث تداخل فيه الدين بالسلطة وتعارضت فيه منظومتان دينيتان مختلفتان في المبدأ والوظيفة. فقد ارتكزت اليهودية على محورية لإله الأوحده، وعلى الالتزام بالناموس التوراتي بوصفه المرجعية الأساسية لتنظيم الحياة الدينية والاجتماعية اليهودية. في المقابل، اعتمدت الديانة الرومانية على تعددية الآلهة، وتطوّرت تدريجيًا نحو تقديس الإمبراطور، حتى أصبحت طقوس الولاء له علامة أساسية على الخضوع السياسي للدولة الرومانية.

سعت السلطة المركزية مع اتساع رقعة الإمبراطورية إلى خلق انسجام سياسي يقوم على توحيد الممارسات الدينية، باعتبارها أداة لحفظ الاستقرار وترسيخ السيادة. وفي هذا السياق، فُهم أي رفض للطقوس الرومانية وخاصة الامتناع عن عبادة الإمبراطور على أنه تعبير عن رفض الخضوع السياسي وتمظهر من تمظهرات العصيان والتمرد.

أسهم هذا التعارض العميق بين المنظومتين في نشوء سلسلة من الأزمات والاضطرابات، تجسدت في ثورات يهودية متلاحقة، شكّلت في مجموعها ملامح الصراع بين اليهود والسلطة الرومانية، وهو ما يحيلنا الى طرح التساؤل حول طبيعة العلاقة التي جمعت بين اليهود والسلطة الرومانية في المرحلة الإمبراطورية؟، وكيف تفاعل اليهود مع المنظومة الدينية والسياسية الرسمية؟، وما ترتّب عن هذا الصدام من انعكاسات دينية وسياسية؟ ثم ما مدى نجاح السلطة الرومانية في ضبط السلوك اليهودي داخل حدود سيادتها؟

2. العلاقة بين اليهود والسلطة الرومانية

مثل جميع شعوب الواقعة تحت سلطة روما الممتدة من أوروبا غربا الى آسيا شرقا وشمال أفريقيا وجد اليهود مكان لهم في المنظومة الرومانية التي أعطتهم كل حقوقهم الدينية

والاجتماعية والسياسية بداية مع عهد أغسطس (Augustus) (27 ق.م - 14 م) إلا أن ذلك في نظرهم لم يكن كافيا لهم (عيد، 1995، صفحة 155)، حيث أنه بالنسبة لليهودي إن أي مشاركة في أي عبادة وثنية من تضحية أو صلاة أو قسم هي استحضر لإله آخر ترقى إلى إنكار إيمانه وشريعته و إلى خيانة شعبه، فالإله يهوه لا يعترف بأي تقسيم، وهو السيد المتسلط على الكون وله وحده يجب السجود والعبادة والطاعة (Mayeur & Venard, 2000, p. 235)، فالطاعة لأي سلطة أخرى مهما كانت مكانتها وعظمتها لا تتفق ووصية الإله، والخضوع لأي ناموس أو قانون آخر غير ناموس وقانون يهوه يعتبر مخالفا وإهانة له وعلى ما يبدو أن اليهود في سلوكهم تجاه السلطة طبقوا هذه القناعات ولم يعترفوا بالمرجعية الدينية الرومانية.

برز الكيان اليهودي عقب محاولة الكاهن عزرا (Azaryah) 458-430 ق.م جمع اليهود في تجديد لعهد النبي موسى لتبدأ معه مرحلة مفصلية في تاريخ اليهود القائمة على تقديس الناموس وصار حكم الكهنة أكثر تجذرا وصاروا هم من يقودون الجموع اليهودية ويوجهونها ودخلت اليهودية مرحلة الانطواء على نفسها ما زاد من سلطة القادة الدينيين وعمق دورهم في ترسيخ معتقدات جديدة تناسب وضعهم في ظل الحكم الأجنبي (عيد، 1995، صفحة 55).

لذلك اعتبروا أن وجود سلطان روما ثم ممارساتها في فلسطين بالتحديد اهانة ليهوه، وكانوا يعتقدون أيضا بأن إله إسرائيل الذي أخرجهم من مصر وخلص آبائهم من الاضطهاد سيخلصهم هم أيضا من ظلم الرومان، على شرط أن يستعملوا هم أيضا كل الوسائل التي يملكونها للتخلص من المستعمر وأعوانه (الخضري، 1981، صفحة 120).

وكانوا على استعداد أن يضحوا بكل ما يملكون لتحقيق حلم الاستقلال وحرية العبادة. وكانت أفكار الخلاص مستولية عليهم وعلى كل قناعاتهم حيث وصل الأمر إلى غاية اقتناع الكهنة أن وقت تدخل الله بمعجزاته قد دنى، شرط أن يواصلوا كفاحهم ضد روما (الخضري،

1981، صفحة 132) بل ضد كل الأمميين -أي مختلف الأمم غير اليهودية- لمنع استملاكهم الأرض حتى تبقى السلطة لليهود وحدهم (عيد، 1995، صفحة 155).

كان اليهود في نظر السلطات الرومانية شعبا صعب الانقياد والحكم، كما كانوا من جهتهم، برمين بسيطرة الرومانيين ويتحنون الفرص السانحة للتخلص منها (ايمار، 1981، صفحة 418)، وبالمثل عبر تاريخهم تم طردهم من روما وتهجيرهم أكثر من مرة ولعل أبرزها سنة 139 ق.م وهذا يعتبر القرار الأول للسلطة الرومانية تجاه أصحاب الشريعة اليهودية على خلفية دعوتهم للديانة اليهودية (Goodman, 2007., p. 108)، وان كانت مسألة الدعوة اليهودية تحتاج إلى تمحيص أدق على اعتبار التهويد محل خلاف بين أبناء الطائفة نفسها، إضافة لكون الديانة لم تكن مغرية لغير اليهود بالدرجة الكبيرة، ضف الى ذلك حالة اليهود الاجتماعية مقارنة مع الطبقات الأخرى من الوثنيين .

يعكس المؤرخ الروماني تاسيتوس (Tacitus) -الذي عاش حتى بدايات القرن الثاني الميلادي- رؤية الرومان لليهود واليهودية بالقول: هذه العبادة، فاسدة ومثيرة للاشمئزاز، تدين بقوتهم لسوءهم الشديد. الأكثر تدهورا من بين الأعراق الأخرى على الرغم من أنهم ينظرون إلى بقية البشر بكل كراهية الأعداء. يجلسون منفصلين لتناول الوجبات، وينامون منفصلين، ومع ذلك فإنهم كأمة يميلون بشكل فردي إلى الشهوة، ويمتنعون عن الجماع مع النساء الأجنبية؛ يحتقرون كل الإلهة، ويتبرؤوا من وطنهم. ويعتبر قتل أي طفل حديث الولادة جريمة بينهم. يرون أن أرواح كل من يهلك في المعركة أو على يد الجلاذ خالدة في حين أن الدين اليهودي لا لون له ولثيم (Tacitus).

أدرج الإمبراطور أغسطس (Augustus) اليهودية ضمن الديانات الأجنبية التي كانت تستحق اللامبالاة والازدراء (Levieils, 2007, p. 124)، وكانت سياسة الرومان تشجع على قيام الممالك الصديقة المستقلة عند حدودهم لضمان الحماية من الأخطار الخارجية من أعداء

الدولة الرومانية (عثمان، 1994، صفحة 5)، وتم حديد الوضع القانوني لليهود في الإمبراطورية الرومانية من خلال أكثر من قانون، يضعهم في أعين السلطة وتحت سلطتها.

هذه السياسة الرومانية نتجت عن متابعة عقائدهم وممارساتهم في المجتمعات الوثنية وحتى أثناء مشاركتهم في العديد من أنشطة المجتمع العامة، فقد سعوا للحفاظ على جزء كبير من حياتهم معزولين عن طبقات معينة من النظام الاجتماعي محافظين على مجالهم اليهودي المميز (Davies & Finkelstein, 2008, p. 128). بالمقابل كانت السلطات الرومانية متسامحة معهم إلى حد يجعلها لا تفقد فيه السيطرة عليهم، حيث ألت على نفسها حماية ديانتهم وأعطتها ضمانات ترجع إلى عهد يوليوس قيصر (Gaius Julius Caesar)، بموجبها زاولوا شعائهم الدينية في حرية وأمن وسمح لليهود بإصدار عملة نقدية خاصة بهم دون أن يطع عليها صورة الإمبراطور، كما تم إعفائهم من الحظر المفروض على تصدير المعادن الثمينة من الإمبراطورية الممنوحة لصالح ضريبة المعبد اليهودي، وهو امتياز تلاه بعد فترة وجيزة إعفاء اليهود من الخدمة العسكرية الرومانية (Neusne, 1976, p. 539).

أما ميثاق الحرية الدينية اليهودية الذي صاغه يوليوس قيصر حوالي (44-47 ق.م)، وأكدته أغسطس، فكان عنوان لسياسة التسامح الديني الروماني، أعطى اليهودية مكانة دينية في جميع أنحاء الإمبراطورية وتم منحهم حرية داخلية في ظل حكام الولايات وشكلت المدن ذات الكثافة اليهودية نوع من الحكم الذاتي تحت سلطة الحاكم الروماني للمقاطعة (عثمان، 1994، صفحة 309)، لكن رغم كل الامتيازات التي منحها الرومان لليهود إلا أنهم قابلوها بروح انفصالية وتعصب ديني وانعزال عن المجتمع (أحمد، 2007، صفحة 115)، ويفهم هذا الانعزال إذا ما تتبعنا السياق التاريخي الذي نمت فيه اليهودية وطبيعة الحياة الدينية اليهودية المنغلقة على نفسها.

لعل ابرز مثال عن هذا الانغلاق الذي قوبل بالثورة، حين حاول انطيوخوس أبيفانس (Antiochus Epiphanes)، ملك سورية السلوقي الذي (حكم حوالي القرن الثاني قبل

الميلاد) و استخدم القوة عندما رأى ببطء عملية تحويل جميع الشعوب الخاضعة لسلطته إلى الهلنستية خلال القرن الثاني ق.م في محاولة لفرض سيطرته وأجبر بذلك اليهود على عبادة زيوس (Zeu)، ومنع اليهود من أن يلزموا السبت مهددا لهم بالقتل، وصدورت كتبهم ومنع عنهم استخدامها وكذا العبادات المرتبطة بها (السواح، 2017، صفحة 172). لقد كانت طبيعة الحياة اليهودية الدينية متكيفة مع ضغوطات السلطات ورغم ذلك في لحظة الصدام مع المعتقدات الدينية الأصيلة كانوا ينتفضون ضد السلطات.

3. الثورات اليهودية ضد الحكم الروماني

بدء الخلاف اليهودي الروماني يظهر بصورة أوضح عندما قام بيلاطس البنطي (Pontius Pilate) (26م-36م) بالتدخل في الشؤون الإدارية والدينية وزيادة الضرائب على اليهود هذه الأسباب مع أسباب أخرى عديدة دفعت كثيرين من اليهود وخاصة أحزاب الغيورين إلى الثورة والعنف في استمرارية لاضطراب منطقة فلسطين التي لم تعرف الراحة طوال ستة عقود (عيد، 1995، صفحة 84)

اشتبك اليهود مع القوات الرومانية، و سيطرت القوات اليهودية في بداية الأمر على الموقف بالرغم من القوة الرومانية والمساعدات العسكرية التي جاءت من مناطق أخرى لإخماد الثورة وسحقها (الخضري، 1981، صفحة 132) وتطور الوضع مع اعتلاء الإمبراطور كاليجولا (Caligula) عرش الإمبراطورية في 37م (Levieils, 2007, p. 53)، حيث أمر جميع أتباع الديانات الموجودة آنذاك أن يقدموا قربانا له، وأمر رجاله في اورشليم (Jerusalem) أن يضعوا تمثاله في الهيكل وذلك عملا بمعتقد عبادة الإمبراطور، ما جعل من اليهود يظهرون امتعاضا شديدا من تصرفات الإمبراطور إلا أن القدر تدخل، لتنتهي مشكلتهم بوفاته (أحمد، 2007، صفحة 116)

بعد أحداث منتصف القرن الأول للميلاد، لم تهتم السلطات اليهودية بإثارة صراع داخلي يخاطر بإثارة استياء الرومان، الذين كانوا دائما على استعداد لاعتبار أدنى اضطراب

على أنه فرصة للتأديب، واستمرت حالة المهادنة إلى عام 66م (Levieils, 2007, p. 55). ليثور اليهود في فلسطين من جديد نتيجة مباشرة للضرائب التي أثقلت كاهل جميع اليهود كما تم المس بحرية ممارستهم الدينية وطقوس الختان والاحتفال بالسبت والأعياد (Renan, 2018, p. 119)، إضافة إلى مضايقات الجيش الروماني المتحصن في القدس، ومحاباته تجاه الطوائف غير اليهودية في الأرض وكذا الإهانات الرومانية المختلفة للمعبد والتي خلقت انطباعاً بأن روما هي مملكة الغطرسة هي وحلفائها من الطبقات العليا اليهودية الموالية للرومان (Strauss, 2012, p. 118).

تجددت الاشتباكات و هزمت القوات الرومانية علي يد القوات اليهودية في سنة 70م وانسحب الباقي، وهو ما كان له تأثير عميق في نفسية اليهود خصوصاً في نفسية أحزاب الغيورين الذين اعتبروا أن النصر جاء من الاله، ولابد أن الاله سيتدخل لكي يحرر شعبه من الاستعمار، أما روما فلم يكن من السهل عليها أن تقبل هزيمة مثل هذه، لذلك كلف الامبراطور نيرون (Nero) القائد فسبريان (Vespasian) (Strauss, 2012, p. 114) بإخماد هذه الثورة، ولم يستطع الثائرون الثبات أمام قوته فسقط الكثيرون وهرب البعض الآخر خصوصاً قادة الثورة إلى أورشليم لكي يواصلوا نضالهم هناك، ومع موت نيرون صعد فسبريان لحكم روما وأصبح إمبراطوراً لها وترك ابنه تيتوس (Titus) لإخماد الثورة اليهودية (Strauss, 2012, p. 154).

يخبرنا المؤرخ جوزيفوس (Josephus) أنه بينما كانت الحرب مع روما تختمر، فقد حذر مراراً وتكراراً أبناء وطنه من حماقة التمرد المسلح (Hare, 1967, p. 8)، ولقد استطاع القائد تيتوس القضاء على الثورة في ماي سنة 70م لتصبح نصف مدينة أورشليم في يد الرومان، و في 29 أوت سنة 70م سقطت المدينة إلا أجزاء منها في يد الرومان، وفي أواخر سبتمبر سقطت المدينة كلها، فقلبوها رأساً على عقب (الخضري، 1981، صفحة 120) وأدت هذه الضربة إلى زيادة تشريد اليهود في جميع أنحاء الإمبراطورية (أحمد، 2007، صفحة 116).

شهدت فلسطين بعدها ظهور عدد كبير من الثوار والأشخاص الذين ادعوا بأنهم المسيح (messiah) المخلص من ظلم الرومان والعالم ولقد كانت هذه الحركات المسيانية (Messianism) السياسية سببا من الأسباب الهامة التي أثارت غضب الرومان وجعلتهم ينظرون إليها كحركات عدائية لهم وللإمبراطور نفسه (الخضري، 1981، صفحة 132). وأدرك الرومان خطر الفكر اليهودي في بروز المسايا (messias) المخلص وزوال ملكهم وسلطتهم، وتجدد الثورات والتمردات عليهم، ما يعني عدم دفع الضرائب وإثارة القلائل وتعطيل التجارة وإثارة الأقليات الأخرى وتحريضها على روما وهو ما جعلهم يقمعون أي حركة من هذا النوع.

أما اليهود الذين يقيمون خارج فلسطين فلم يعانون كثيرا من تمردات إخوانهم في الدين ولم يشارك اليهود المسالمون في النضال وحافظوا على الامتيازات السابقة الممنوحة لهم من زمن يوليوس قيصر (Renan, 2018, p. 132)، وسرعان ما تصالحوا مع المنتصرين. بل تجرأ البعض على القول بأن الجنة كانت في صالح الرومان (Renan, 2018, p. 132).

لم يتوقف مسار الثورات اليهودية ضد الرومان بعد الثورة اليهودية الكبرى ليشتمل من جديد على خلفية الاضطرابات الناجمة عن الوجود العسكري الروماني الكبير في فلسطين؛ والتدهور الاقتصادي و التحول من ملكية الأراضي إلى المشاركة في الزراعة و التغييرات الإدارية في مقاطعة يهودا بعد الثورة الأولى التي امتدت من سنة 66م-70م وأيضا التحريض القومي الذي أثارته الانتفاضات اليهودية في مصر وليبيا أثناء الثورة التراجانية؛ وحرب تراجان (Trajan) ضد يهود بلاد ما بين النهرين و حظر الإمبراطور هادريان (Hadrianus) (Strauss, 2012, p. 191) للختان الذي يقال أن الحضر كان إجراءً عقابياً بعد الثورة اليهودية على السلطة (Davies & Finkelstein, 2008, p. 106 107).

الا أن هذا لم يضع حدا لهيجناهم وسخطهم لأن اليهود آمنوا أن خضوعا مذلا للاستعباد الروماني، يعني التخلي عن يهوه ربهم وسيدهم ، وكانوا مقتنعين بأنهم بإشهارهم السلاح سوف يعجلون بمجيء المسيح المخلص (السواح، 2017، صفحة 184)، الذي لا يأتي الا إذا انقضى حكم الأشرار الخارجين عن دين يهوه (عيد، 1995، صفحة 155).

لتنويع وتنتشر بذلك الثورات اليهودية في شكل أعمال شغب بدوافع دينية و سياسية متداخلة، فثاروا في قبرص، سوريا، فلسطين، مصر وبرقة، تحت زخم قياداتهم الدينية، وبرزت لاحقا الحركة المسيانية اليهودية في شكل صراع عرقي وديني، يقول المؤرخ ديون كاسيوس (Cassius Dio) على إثر تلك الثورات أن اليهود، "ذبخوا الرومان واليونانيين في قورينا (Cyrene)، وأكلوا لحومهم، وتمنطقوا بأحشائهم، وفركوا دمائهم لقد قاموا بنشر العديد من منتصف الجسد، وعرضوا البعض الآخر للوحوش وأجبروا البعض على القتال كمصارعين هاجموا معبد زيوس وحطموا تمثال الإله إلى ألف قطعة". (Cassius)

اندلعت في يهوذا ثورة اليهود الجديدة بقيادة بار كوخبا (Bar Kokhba) عام 132م، وساهمت في استنزاف الجيش الروماني وكسره ولو جزئيا. (Kessler & Wenborn, 2005, p. 81) إلا أنه تم سحق الثورة وتم بيع آلاف الأسرى اليهود كعبيد في فلسطين وتهجيرهم إلى الخارج بعد سقوط بيثار (Bethar) (مدينة قديمة في فلسطين). لتكون نهاية الحرب في خريف 135م، ويفر اللاجئون اليهود، ومعظمهم من القادة العسكريين والإداريين وعائلاتهم إلى الكهوف الطبيعية خارج القرى اليهودية، وربما استغرق الرومان حتى 136م ليكملوا ما تبقى من آثار الثورة، التي لم يتعافى منها اليهود أبداً و في أعقابها، لم يعد اليهود يشكلون الأغلبية في فلسطين، وانتقل المركز اليهودي إلى منطقة الجليل وأصدر الرومان سلسلة من القوانين في عهد هديران والتي تم تصميمها لاقتلاع أي بذور ثورية وقومية داخل المجتمع اليهودي، ظلت هذه القوانين سارية المفعول حتى وفاة هادران في عام 138م. (Davies & Finkelstein, 2008, p. 126)

تغير اسم المقاطعة من يهوذا **Judaea Provincia** إلى مقاطعة سوريا **Provincia Syria**، ولم يبذل اليهود أي محاولات أخرى لتحقيق الاستقلال القومي في غضون عقود ويلخص هذا التحول من السياسة إلى الدين، التأثير الحاسم لثورة بار كوخبا على التاريخ اليهودي (Davies & Finkelstein, 2008, p. 127). في المقابل فهمت السلطات الرومانية أسس التقاليد اليهودية الدينية والسياسية وبادرت عقب ثوراتهم إلى عزلهم عن الارتباط بالأرض وبذلك ضاع كل أمل في رؤية مملكتهم المزعومة والهيكل المختلق وهو يرتفع مرة أخرى.

حتى تعزية العيش بالقرب من الأماكن المقدسة كان لا بد من التخلي عنها. كان نوع العبادة التي كرسها الشعب اليهودي للأرض التي اعتقدوا أن الله قد منحهم إياها وصايرتها السلطة الرومانية، لقطع أي جذور لثورة يهودية في المستقبل. كما صدر مرسوم بطرد اليهود من القدس وكذلك من محيطها تحت طائلة الموت وحُرمَ عليهم دخول أورشليم إلا في يوم واحد فقط في السنة، بعد الحصول على إذن بالمجيء والبكاء في القدس (Renan, 2018, p. 21).

4. موقف السلطة الرومانية من الثورات اليهودية (القرنين 1 ق.م - 2م)

استوجب على روما إيجاد طريقة سياسية في التعامل مع أقلية دينية يهودية لا تقبل الخضوع بسهولة أو الاستيعاب والتي تعمل على زرع الاضطراب ولا يقومون بواجبهم تجاه السلطة، بل ويقومون أحياناً بنقل عادات الطهارة والختان للرومان وكذا عملهم في التنجيم (Goodman, 2007., p. 108). علاوة على ذلك، إثارة المشاكل والخلافات مع جيرانها من غير اليهود، كانت البدائل التي تواجه روما هي القمع من جهة، ومن جهة أخرى التسامح المشروط، لم تكن هناك دعوة قانونية لقمع اليهودية، لأنها عبادة تفي بالمعايير الرومانية للبقاء المسموح به وغير ضارة سياسياً (Davies & Finkelstein, 2008, p. 169).

بل حتى في الفترات الصعبة مثل أيام هديران في سلوكه الحاد مع اليهود كان هناك نوع من المرونة، كما تم بنهاية عهده زيادة هامش الحريات حيث تساهلت السلطة الرومانية معهم واستبدل التجنيد في الجيش الروماني بالتجنيد الطوعي، وتم أيضاً مراعاة يوم السبت واستجاب المسئولون الرومان في آسيا الصغرى لنداء إعفاء اليهود الذين يحملون الجنسية الرومانية من الاستدعاء، كما تم تمديد الإعفاء ليشمل اليهود غير المواطنين الذين ربما تم استدعاؤهم للخدمة بغير الفيلق من خلال تشريع شامل يمنح اليهود حقوقاً إضافية ويضع ممارسة اليهودية من جميع جوانبها على أساس قانوني (Davies & Finkelstein, 2008, p. 169).

لكن سياسية روما دخل الإمبراطورية اختلفت عن عاصمتها على الرغم من استعدادها لدعم يهودا سياسيًا كخطوة سياسية، إلا أنها لم تكن ترغب في رؤية عبادة شرقية تحصل على موطن قدم بين الرومان (Davies & Finkelstein, 2008, p. 172). ولم يقتصر السلوك الروماني على اليهود فقط بل حتى باقي الديانات التي هاجر أصحابها إلى روما، أو تم نقلها إلى هناك، من أماكن أخرى في كثير من الأحيان ومواصلة عبادة معبوداتهم الأصلية، حيث جلب المصريون معهم آلهة مثل إيزيس (Isis)، وفعلت شعوب أخرى نفس الشيء. في بعض الأحيان، لم يكن الرومان سعداء للغاية بتدفق الإلهة الأجنبية (Hurtado, 2016, p. 77 81). حيث بقيت هناك خطوط واضحة تفصل بين الإرث الروماني الديني والوافد عليه من معتقدات وآلهة بل وحتى عرقيات رغم الانفتاح الروماني على الكل.

نشهد مثلاً في النصف الثاني من القرن الأول حتى أواخر القرن الثاني على الأقل فصلاً واضحاً للمكون اليهودي في روما عن باقي المجتمع ليبدو ظاهر للعيان من خلال المنطقة الرئيسية للسكن اليهودي في روما في الضفة الشمالية لنهر التيبر (Tiber)، والتي توصف بكونها مملوكة ويسكنها اليهود، ومعظمهم من الرومان المحررين (Davies & Finkelstein, 2008, p. 172) وظلوا في نظر الرومان من أصحاب الفئات الدنيا وذوي المستوى الاجتماعي والاقتصادي الضعيف (Davies & Finkelstein, 2008, p. 173).

5. اليهود والمسيحيين والصراع مع السلطة الرومانية

رفع اليهود عن المسيحيين حق إطلاق صفة اليهودية عليهم وكانت المسيحية الوليدة مجرد طائفة مهرطقه لا يحق لأعضائها الانتساب إلى شريعة موسى وأكثر من عانوا من هذه الإدانة هم اليهود المسيحيون في فلسطين، الذين أرادوا الحفاظ على الهوية العرقية والدينية معاً فكان عليهم أن يضطهدوا (Mayeur & Venard, 2000, p. 237) ولعل أبرز مثال لهذا الاضطهاد هو اضطهاد القديس ستيافانوس (Stephen) القديس المسيحي في الفترة المسيحية المبكرة (القرن الأول الميلادي). وهو مثال لاستخدام سلطة القتل لدى اليهود في صراعهم مع المسيحيين حيث وجد السنهدين (The Sanhedrin) (مجموعة أعضاء يشكلون الهيئة العليا

للقضاء تجمع الشؤون الدينية والقانونيين والسياسية لليهود) أن ستيفانوس مذنب بارتكاب جريمة التجديف وتحريف الشريعة وفي أعمال الرسل نجد: فلما سمعوا هذا جرّهم إلى قلوبهم وصرّخوا بأصوات عظيمة وجرّوا عليه نفس واحدة وركضوا به خارج المدينة ورموه. والشهود وضعوا ثيابهم على رجل شاب يدعى شاول. وكان ستيفانوس يصرّخ قائلاً: ربّ يسوع اقبل روحي. فركض وركض بصراخ ورموه بحجارة. وشاول كان يوافق على قتله. (الكتاب المقدس ، أعمال الرسل)

"وَهَيَّجُوا الشَّعْبَ وَالشُّيُوخَ وَالْكَتَبَةَ، فَقَامُوا وَخَطَفُوهُ وَأَتَوْا بِهِ إِلَى الْمَجْمَعِ، وَأَقَامُوا شُهُودًا كَذَبَةً يَقُولُونَ: «هَذَا الرَّجُلُ لَا يَفْتُرُ عَنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ كَلَامًا تَجْدِيفًا ضِدَّ هَذَا الْمَوْضِعِ الْمُقَدَّسِ وَالنَّامُوسِ، لَأَنَّنَا سَمِعْنَاهُ يَقُولُ: إِنَّ يَسُوعَ النَّاصِرِيَّ هَذَا سَيَنْقُضُ هَذَا الْمَوْضِعَ، وَيَغَيِّرُ الْعَوَائِدَ الَّتِي سَلَّمَنَا إِيَّاهَا مُوسَى (الكتاب المقدس ، أعمال الرسل). نتيجة لتلك الفريات تم الحكم عليه بالموت من قبل السندهرين ورجم حتى مات، مثل هذه الحادثة تقدم لنا دليلاً واضحاً على أن اليهود يمتلكون حق المحاكمة في قضايا الإعدام وتنفيذ عقوبة الإعدام باستثناء تلك الحالات التي ادعت فيها محكمة رومانية الاختصاص على أساس أن المدعى عليه مذنب بارتكاب جريمة سياسية، بناءً على هذه الفرضية، فتح الباب لحالات اضطهاد مماثلة في حق المسيحيين الآخرين (Hare, 1967, p. 150).

مع مطلع القرن الأول للميلاد ساعد بعض اليهود السلطة الرومانية في أن تصبح أكثر وعياً بالتمييز بينهم وبين المسيحيين وذلك لكي لا يتم تهديد الامتيازات اليهودية بسبب حماقات المسيحيين حسيهم، وأن يفهموا أنه لم يعد لديهم حق الاستفادة من العبادة اليهودية و المكانة التي لهم في فلسطين (Mattei, p. 157)، و أنهم بالمقابل أصبحوا منفصلين عن كونهم يهوداً، يسقط عنهم الغطاء القانوني الخاص بالتسامح، ونتج عن هذا القرار الروماني محاكمة القديس بولس نفسه في روما (Mayeur & Venard, 2000, p. 237) ودعم اليهود سياسة الإعدام في وجه المسيحيين وهو ما عرف بـ "الاضطهاد حتى الموت". مثل هذه العبارة أوردها

يوحنا في قوله: "في الواقع تأتي الساعة التي يعتقد فيها كل من يقتلك أنه يقدم خدمة لله" (الكتاب المقدس انجيل يوحنا)

أما الطرف المسيحي فكان الشعور المتنامي لدى المسيحيين بالانفصال عن المجتمع اليهودي يزداد بسرعة (Hare, 1967, p. 42)، حيث اعتبروا أن الاضطهاد الروماني للمسيحيين كان راجعاً إلى حد كبير إلى عدااء اليهود الذين حرضوا على اضطهاد المسيحيين، سواء من المجتمع الوثني أو من السلطة الرومانية، وتفاقم هذا الشعور مع دخول عصر نيرون لتصبح هناك قاعدة عامة، انه كلما حدثت اضطهادات دموية في الأيام اللاحقة، يكون اليهود إما في الخلفية أو في المقدمة (Hare, 1967, p. 66)، سواء كمضطهدين للمسيحيين أو كمحرضين للسلطة والوثنيين على السواء، و نستطيع تتبع ذلك الشعور الانتقامي الاضطهادي من خلال تتبع مسار الانفصال المسيحي عن اليهودية والمحطات الكبرى في الصدام بين الطرفين، مثل الثورة اليهودية الكبرى وموقف المسيحيين منها، ثم حياد المسيحيين عن دعم الثورات اليهودية ضد روما، والمزاعم المسيانية لبار كوخبا (Kessler & Wenborn, 2005, p. 420). ساهمت كل تلك المواقف في زيادة الشرخ والعداوة، وبرزت في الأدبيات المسيحية لاحقا الفرضية القائلة بأن اليهود هم مصدر وأصل كل الشرور التي تلحق بالمسيحيين ووفقاً لهذه الفرضية، لا يمكن أن تكون عداوة الوثنيين إلا بسبب الجهل بحقيقة المسيحية، في حين أن كراهية اليهود متعمدة (Hare, 1967, p. 68). غير انه لا يوجد دليل كافٍ لدعم الرأي القائل بأن اليهود هم المروجون الوحيدون للشائعات أو أنهم كانوا في المقام الأول مسئولين عن الاضطهاد الذي وقع باتباع يسوع.

6. خاتمة:

تفسر الخصائص الأساسية للديانة الرومانية بكونها ديناً طقسي وغير عقائدي فالتقاليد الدينية للرومان كانت تنص على طقوس لأدائها، وليس أفكار يؤمن بها؛ لذلك ظل الجميع أحراراً في فهم الآلهة والتفكير فيها كما يرونه مناسباً، كانت المعتقدات الوحيدة للرومان هي

أن الآلهة لا تعد ولا تحصى وتختبئ وراء كل قوة من قوى الطبيعة، أما الديانة اليهودية فتدور على مركزية الكتاب المقدس ومحورية الإله يهواه فيها.

يمكننا وصف تاريخ اليهود في ظل الإمبراطورية الرومانية بأنه تاريخ من التسويات الدينية والسياسية، كما كان الخداع والتمرد هي السمة المميزة للوجود اليهودي في أرجاء الإمبراطورية منذ بداياتها، وبعد ضم مقاطعة فلسطين للسلطة الرومانية، أصبحت سمة مميزة للمواطن اليهودي في أرض فلسطين أيضا وتم إخفاء الواقع المناهض للسلطة في نوع من المداهنة، حيث لم يستطع اليهود إلا أن يكونوا تحت سحر الثقافة الوثنية الرومانية المتطورة التي واجهوها وليس من المستغرب إذن أن تختار أعداد كبيرة من اليهود الخروج عن تقاليدهم وحاولوا الاندماج في المجتمع الوثني.

انفجرت بعض الثورات اليهودية المحدودة والتي نجحت روما إلى حد ما في اخمادها من خلال منح الاستقلالية الظاهرة للسلطات اليهودية تحت إشراف الحكم الروماني المباشر واحتواء العنصر اليهودي والذي لعب في مرحلة لاحقة دور المحرض على الديانة المسيحية الوليدة من الحاضنة اليهودية الأم ليتم اضطهاد الأخيرة والتنكيل بأصحابها لينتقل الصراع الديني مع الرومان من الطرف اليهودي الى الطرف المسيحي.

7. قائمة المصادر والمراجع:

1. احمد عثمان. (1994). تاريخ اليهود. القاهرة : مكتبة الشروق.
2. الكتاب المقدس انجيل يوحنا. (بلا تاريخ).
3. الكتاب المقدس ، أعمال الرسل. (بلا تاريخ).
4. اندريه ايمار. (1981). تاريخ الحضارات العام روما وإمبراطوريتها (المجلد 2). لبنان.
5. حنا جرجس الخضري. (1981). تاريخ الفكر المسيحي يسوع عبر الأجيال. مصر : دار الثقافة.
6. غانم حافظ أحمد. (2007). الامبراطورية الرومانية من النشأة الى الانهيار. مصر : دار المعرفة.
7. فراس السواح. (2017). موسوعة تاريخ الأديان. سوريا.
8. يوسف عيد. (1995). الديانة اليهودية. بيروت: دار الفكر.
9. Davies, W., & Finkelstein, L. (2008). The Cambridge History Of Judaism. Cambridge University Press,.
10. Goodman, M. (2007.). *Judaism In The Roman World*. Boston: Brill.
11. Hare, d. (1967). , *The Theme Of Jewish Persecution Of Christians In The Gospel According To St Matthew*. Uk, : Cambridge University Press,.
12. Hurtado, L. (2016). *Destroyer Of The Gods Early Christian Distinctiveness In The Roman World*. Baylor University Press.
13. Kessler, E., & Wenborn, N. (2005). *A Dictionary Of Jewish Christain*. Uk,: Cambridge University Press.
14. Leveils. (2007). Contra Christianos. Usa,: Walter De Gruyter,.
15. Lucius Cassius. (بلا تاريخ). Dio's Rome, Livre V.،
16. Mattei, P. (n.d.). *Le Christianisme Antique De Jesus A Constantin*. Paris.: Colin,.
17. Mayeur, J., & Venard, M. (2000). *Histoire Du Christianisme Des Origines A250*. Paris: Deslee.
18. Neusne, J. (1976). Studies In Judaism In Late Antiquity . Netherlands,: Brill Leiden,.
19. Renan. (2018). L'église Chrétienne. Paris,: , Calmann Lévy,.
20. Strauss. (2012). Ten Caesars Roman Emperors From Agustus To Constantine. ,Usa,: Simon And Schuster.
21. Tacitus, C. (n.d.). The Annals. Tufts University.